التّناصّ الأدبيّ في شعر إبن زيدون

Literary intertextuality in the poetry of Ibn Zaidoun

د. نعيم عموري[1]

طالب ماجستير. طعمه غضبان عبيد [2]

1) شهيد تشمران أهواز-إيران/(الكاتب المسؤول)

n.amouri@scu.ac.ir

2) جامعة شهيد تشمران أهواز-إيران

sananaseri1978m@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2020-03-10	تاريخ القبول:2020-05-27	تاريخ النشر:2020-06-25

الملخص :

تسعى الدراسة إلى تحليل أشعار **إبن زيدون** من خلال البحث في مواطن الجودة والجمال التي ظهرت في قصائده صيتاً وذيوعاً في تراث العرب وحاضرهم والبحث عن التّناصّ الأدبيّ فيها، ثم أستدعاء النّصّوص القديمة وتوضيح التعالق بين البيت القديم (النّصّ الغائب) وبيت شعر **إبن زيدون** (النّصّ الحاضر) ولذلك لابد للشاعر من وجود تناص أدبي في شعره من النّصّوص الغائبة لإظهار واستعراض حصيلته الشعرية. وحاولت الدراسة تلك اكتشاف مواضع التّناصّ الأدبيّ للشاعر مع شعر من سبقوه من الشعراء البارزين، وقد وجدت الدراسة تأثر الشاعر بإرثه الأدبيّ والأساليب اللفظية ويظهر ذلك جلياً في قصائد **إبن زيدون**. التّناصّ الأدبيّ ظاهرة بارزة في الشعر العربيّ لأنّها ثروة أدبية لا يجب أن يهملها الشعراء اللاحقين، ومن الممكن أن تكون ظاهرة التّناصّ الأدبيّ كاشفة عن حافظة الشاعر وذاكرته المتقدة والقدرة على توظيف البيت الشعري لشاعر سابق وبصورة جميلة وظاهرة وواضحة للمتلقي. وظهر التّناصّ الأدبيّ في معظم قصائد **إبن زيدون** تناصّ مع أشعار **إمرئ القيس** و**الأعشى** والنابغة **الذبياني**، و**جرير** و**الفرزدق**، و**المتنبي** و**المعري**.

الكلمات المفتاحية: التّناصّ، الأدب، الشعر، إبن زيدون، الأندلس.

Abstract:

This study seeks to analyze the poems of Ibn Zaydoun by searching in their quality and beauty that appeared in his poems which are wide spread in the old and present Arabic literature ،and searching for literary intertextuality within these texts, then summoning ancient texts and clarifying the relationship between the old part (the absent text) and the part of poetry of Ibn Zaydoon (the present text). Therefore ،the poet must have a literary intertextuality in his poetry from the absent texts to show and expose his poetry. This study attempts to discover the placement of literary intertextuality of the poet with the poetry of his predecessors. The study found that the poet was affected by his literary heritage and verbal methods ،and this is evident in the poems of Ibn Zaydoon. Literary intertextuality is a prominent phenomenon in Arab poetry because it is a literary wealth that should not be neglected by subsequent poets. Literary intertextuality may reveal the poet's portfolio ، his burning memory ،and the ability to use the poetic verse of a former poet in a beautiful ،visible and clear manner to the recipient. Literary intertextuality appeared in most of the poems of Ibn Zaydoon that we found in his collection.

Key words: intertextuality ،literature ،poetry ،Ibn Zaydoon ، Andalus.

المقدمة:

إن صلتي بالأدب الأندلسي عامة وبـ**إبن زيدون** خاصة أتاحت لي أن أتأمل شعره مرّات ومرّات وفي كل مرة أجدني أدهش لتراكيب عباراته الشعرية وبنائه المتين ومضامينه الخلاقة في أغراضه كلها وأدركت بعد طول مراجعة لهذا الشعر أنّ ثقافة الشاعر ومرجعيته الفكرية تقف وراء هذا التهذيب، فقد استطاع **إبن زيدون** أن يعبر عن علاقته بما يحيطه من الناس والأشياء والمواقف بلغة شعرية مؤثرة في متلقيها أيما تأثير. لذا حاولنا أن نتلمس ضربا من ملامح هذا الابداع الفني متتبعين أثر ثقافة الشاعر في حياته ومذهبه الشعري لعلنا نقف عند مواطن فاعلية هذا الأثر الثقافي والشعري والأدبيّ في شعر **إبن زيدون** خاصة. وحاولنا أن نبين الاقوال في مصطلح (التّناصّ) في اللغة والمفهوم معولا على آراء مؤسسي هذا المفهوم من الغربيين والعرب، ولم ننس أنّ نربط بين المفهوم القديم والجديد وبين مصطلحي الاقتباس والتضمين مشيرين إلى علاقة العموم والخصوص بين (التّناصّ) و(تعالق النّصّوص) وبين الإقتباس والتضمين على الرغم من أن بعض الباحثين المحدثين قد شرقوا وغربوا في تفسير الصلة بين هذين المفهومين.

وتناولنا في البحث المصدر الأدبيّ للتناص في شعر إبن زيدون ملتزما المنهج التحليلي في استنطاق النّصّوص وتلّمس شعريتها وتعالقها مع عناصر ثقافة الشاعر ومكوناته. وهو ما ظهر جلياً في حياته وأثره الشعري وحتى في نثره وحاولنا بيان ذلك عبر **الأسئلة** التالية:

- ❖ لماذا استخدم إبن زيدون التّناصّ الشعريّ العربيّ؟
- ❖ ما الآثار الدالة على تناصّه الشعريّ؟

فرضيات البحث:

استخدم الشاعر **إبن زيدون** البناء المتين والمضامين الخلاقة في أغراضه الأدبيّة وقصائده واستطاع أن يعبر عن علاقته بما يحيطه من الناس والاشياء والمواقف بلغة شعرية مؤثرة في متلقيها أيّما تأثير. وقد ظهرت آثار التّناصّ في شعره ونثره بوضوح لدى المتلقي المختص بعيدة عن التعقيد والغموض، واستخدم الشاعر التّناصّ الأدبيّ.

خلفية البحث:

تناول عدد من الكتاب موضوع التّناصّ منهم الكاتب حسين ميرزائي عن التّناصّ الأدبيّ في بحثه التّناصّ الأدبيّ ومفهومه في النقد العربيّ الحديث وتناول **محمد السالم** في موضوع مفهوم التّناصّ الأدبيّ موضوع الشعر والتّناصّ في بحث منشور وكتب الدكتور **فوزي خضير** عن عناصر الابداع الفني في شعر **إبن زيدون** ونجد ايضاً نصاً للدكتور **إحسان عباس** عن آفاق الإبداع في شعر **إبن زيدون** قدم بها ديوان الشاعر. ولقد كتب الدكتور **فاضل عبود التميمي** أصول مصطلح التّناصّ في النقد العربيّ وفي ديوان **إبن زيدون** ورسائله للأستاذ **علي عبد العظيم** والدكتور **شجاع الهاني** دراسة في بلاغة التّناصّ الأدبيّ. لقد عول

الباحث على قراءة ديوان **إبن زيدون** قراءة تحليلية مستفيداً من آراء النقاد والباحثين الذين نبهوا على أثر ثقافة **إبن زيدون** في صقل موهبته ونضج تجربته التي جسدها فناً رائعاً حتى عُدَّ بحتري الأندلس ونطالع في ذخيرة **إبن بسام** ما يؤكد ان **إبن زيدون** كان مطبوعا في شعره إذ يقول (فأما سعة عذره، وتدفق صعبه، وغزارة بيانه، ورقة حاشية لسانه، فالصبح الذي لا ينكر ولا يرد ...).

التّناصّ لغة ومفهوماً:

التّناصّ في اللغة:

عند مطالعة المعاجم العربيّة نجد معانٍ متعددة للنص وهي في مجملها تفيد الرفع والحركة والإظهار حيث جاءت في اللسان (النّصّ: رفعك الشيء، نص الحديث ينصه نصاً). وفي القاموس المحيط نص الشيء حركة ونص العروس اقعدها على المنصة اما ما ورد في المعجم الوسيط فمعنى كلمة نص صيغة الكلام الاصلية التي وردت من مؤلفها والنّصّ ما لا يحتمل إلا معنى واحد أو لا يحتمل التأويل

التّناصّ في النقد العربيّ:

هو آلية الأخذ والاستفادة التي يقوم بها الشاعر أو الكاتب وقد اصطلحوا على تسميتها بهذا الاسم – التّناصّ [1] – وجدير ذكره أن **ميخائيل باختين** أول من صاغ نظرية تعد شاملة في التدخلات النّصّية[2]. أما **(كريستيفا)** فقد رأت أنّ (التّناصّ) هو ميزة النّصّ الأساسية وأن النّصّ هو تحويل لنصّ آخر لذا عرفته قائلة (التقاطع والتعديل المتبادل بين وحدات عائلة الى نصوص مختلفة[3]) وهي تقول ايضاً (انه ترحال للنصوص وتداخل نصي ففي فضاء نصاً معين تتقاطع وتنشأ في ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص اخرى[4]) فالنّصّ يشكل من نصوص متداخلة معه، والتّناصّ قد يكون عصياً عن التعريف بسبب طبيعته الفسيفسائية لذا كثرت التعريفات. ويبدو للباحث أنّ مصطلح التّناصّ يعد أرقى مصطلح من بين عشرات المصطلحات التي يظن أنّها تشير الى المفهوم نفسه. فالتّناصّ ليس ترفاً فكرياً بل يحقق قيم جمالية إذا أضاف إليه المبدع ما تهيأ له من

---

[1] ايفلتن (ثيري) مقدمة في النظرية الادبية تعرب الاستاذ ابراهيم جاسم العلي، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد /1992 ص101.

[2] انظر تودروف (تزفيتان) : المبدأ الحواري، تعريب الاستاذ فخري صالح ط1 دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1992 ص8.

[3] كريستينيا (جوليا) علم النص، تعريب الاستاذ فريد الزاهي، ط2، دار توبقال للنشر، المغرب، 1997ص21

[4] نفس المصدر السابق، ص21

مكوناته الشعرية والخيالية. ولا يختلف **رولان بارت** عن **كريستيفا** في نظرته الى التّناصّ إذ يرى أنّ التّناصّ هو أحد مفاهيم النّصّ المهمة وهو حتمي ومؤكد ومفتوح بشكل واسع على مختلف متعلقات النّصّ.[1] لكن **تودروف** يرى أنّ التّناصّ ينسب إلى الخطاب ولا ينسب الى اللغة ولذا فهو يقع ضمن اختصاص علم اللسانيات ولا يخص علم اللغويات على حد فهمه[2]. ويذهب كثير من النقاد الغربيين لأي عمل ادبي في معزل عن التّناصّ ومن أمثلة هؤلاء **لوران جيني**[3] وبهذا يتفق **لوران جيني** مع **رولان بارت** في أنّ هنالك نصاً مركزياً تدور في فلكة نصوص أخرى بفعل التحول والامتصاص ويؤكد عنايته بهذا المفهوم حين يقول عنه: (عمل تحويل وتمثيل عدة نصوص يقوم بها نص مركزي يحتفظ بزيادة المعنى)[4].

---

[1] كريستينيا (جوليا) علم النص، تعريب الاستاذ فريد الزاهي، ط2، دار توبقال للنشر، المغرب، 1997، ص21.

[2] تودروف: المبدأ الحواري ص82 .

[3] يقطين (سعيد) انفتاح النص الروائي، ط1، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، 1985، ص94.

[4] مارك انجينو، في اصول الخطاب النقد الجديد، تعريب احمد المديني، دار الشؤون الثقافية بغداد /1987،ص108.

التّناصّ في النقد العربيّ:

ظهر مصطلح التّناصّ في النقد العربيّ الحديث وأوّل من أشاعه الناقد **عبد الله الغذامي** وسماه النّصّ المتداخل أي النّصّ الذي يتسرب إلى داخل نصّ آخر ويجسد المضامين سواء أدرك الكاتب ذلك أم لم يدرك، لأنّ النّصّوص المتداخلة مصطلح سيمولوجي تشريحي[1]. والناقد **الغذامي** يرى أن أي نص أو جزء من نص هو دائم التعرض للنقد ألى سياق آخر في زمن آخر، وإنّ أيّ نصّ من النّصّوص الأدبيّة هو خلاصة تأليف عدد من الكلمات والكلمات هي أسبق من النّصّ في وجودها وهي قابلة للانتقال إلى نصّ آخر وهي تحمل معها تاريخها الأوّل وتاريخها الحالي المكتسب[2].

المبحث الثاني: التّناصّ الأدبيّ إضاءة

يشكّل الأدب العربيّ بفنيه – النثر والشعر – رافداً ثراً ومرتكزاً ثقافياً للأدباء ينهلون من صوره وأساليبه وتراكيبه ومفرداته وقد يتفاوتون في الأخذ والاستفادة بقدر ثقافتهم وعمق إطلاعهم على انتاج الشعراء وفنون النثر. ويبرز التّناصّ الأدبيّ لدى **إبن زيدون** لافتاً وذلك بفعل ثقافته الواسعة وعمق تأثره بالمشارقة ولاسيّما من الشعراء من ذوي المواهب العالية ك**إمرئ القيس** و**الأعشى** والنابغة

---

[1] الغذامي (عبد الله) : الخطيئة والتكفير، ط6، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، 2006، ص288–289.

[2] نفس المصدر ص215.

الذبياني من شعراء العصر الجاهلي و**جرير** و**الفرزدق** من شعراء العصر الاموي، وتأثر كذلك بشعراء العصر العباسي وفي طليعتهم **ابو الطيب المتنبي** و**ابو العلاء المعري** وشواهد التّناصّ كثيرة في شعره ولكننا سنقتصر على نماذج منها متأملين فنيتها وقدرتها التعبيرية وانصهارها مع خطابه الشعري لنلتمس فاعلية هذا التصرف الشعري في تجارب **إبن زيدون** الوجدانية.

أ – التّناصّ مع الشعر العربيّ:

إنّ إطلاع **إبن زيدون** وحفظه لشعر أسلافه وتأثره بهم، رفد شعره بوافر من التراكيب والإشارات والصور والأساليب التي استدعتها لحظة تشكيل عمله الفني وإليك نماذج منها؛ نطالع في ديوانه قصيدةً وضع محقق ديوانه عنواناً لها إذ وسمها بـ(مواكب الذكريات) مقطعاً منها نصّه[1].

خليليَّ إن أجزع فقد وضع الُعذرُ

وإن استطعت صبراً فمن شيمتي الصبرُ

وإن يكُ رزءاً ما أصاب به الدهرُ

ففي يومنا خمر وفي غده أمر ولا عجبٌ إنّ الكريم مُرزّأُ

---

[1] ابن زيدون: (ديوان ابن زيدون): (ص156).

ففي بيته الأخير استدعاء لما قاله **إمرئ القيس** لّما بلغه مصرع أبيه وكان في مجلس لهوٍ وشراب فأتى يقول:[1]

اليوم خمرٌ وغداً أمر لأصحَو اليوم ولأسكر غداً

وقد وفق **إبن زيدون** في هذا الاستدعاء المكين للتراث الأدبيّ وتوظيفه وفي المقطع الذي يليه يقول **إبن زيدون:**[2]

رمتني الليالي عن قسيّ النوائبِ

فما اخطأتني مرسلات المصائبِ

أقضيّ نهاري بالأماني الكواذبِ

وأوي إلى ليل بطيء الكواكب وأبطأُ سارٍ كوكب بات يُكلأُ *

وفي البيت الأخير نجد ان إبن زيدون ناظراً الى قول الشاعر النابغة الذبياني في مطلع قصيدة لهُ قائلاً:[3]

---

[1] امرئ القيس: (ديوان امرئ القيس) : تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، ط5 دار المعرف في مصر (ص 84).

[2] ابن زيدون: ديوان ابن زيدون: (ص 156).

[3] النابغة الذبياني : ديوان النابغة الذبياني: ص12

*معاني بعض المفردات: بطيئ الكواكب: طويل (كناية عن طول الليل)

سلأ الكوكب: رعاه واطال مراقبته : هامش المحقق : (ص156).

كِلِينِي لِهَمٍّ يَا أُمَيمَةَ نَاصِبِ وَلَيلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيءُ الكواكبِ

وقد جاء تناصه منصهراً مع خطابه الشعري محققاً هذا الانسجام الذي يشي بتفوق الشاعر الأندلسي في هذه التّناصّية ونقرأ في دالية عصماء له هذا التّناصّ مع النابغة **الذبياني** حيث يقول مستهلاً حياته الجديدة خدمة المعتصم الإشبيلي: [1]

..... جيش إذا ما الأفق سافر طيرهُ مَعَه ففي ذمم الصوارمِ زادُ

ويلحظ هذا التّناصّ معبر في قوله مادحاً أبا الحزم بن جهور[2]

فلا ينعَ منهم هالك، فهو خالد بأثاره، إن الثناء هو الخلدُ

وبيته هذا أخذه من قول النابغة **الذبياني:**[3]

إذا ما غزوا في الجيش حلّق فوقهم عصائب طيراً تهدي بعصائبِ

أن التفاعل النّصّي بهذه الآلية، إذ استطاع **إبن زيدون** أن يُعبّر عن الصورة الشعرية التي رسمها النابغة في المشهد ذاته مرصعّاً هذا التشكيل مما يجعله متجدداً ذا فاعلية تعبيرية.

((أقلوا عليهم – لا اباً لأبيكم – من اللومِ، أو سُدّوا المكان الذي سدّوا)) [4]

---

[1] ابن زيدون: ديوان ابن زيدون (ص511).

[2] ابن زيدون: ديوان ابن زيدون (ص 12).

[3] النابغة : ديوان النابغة الذبياني (ص12).

[4] ديوان الحطيئة بشرح ابن السكيت

أولئك إن نمنا سرى في صلاحنا سجاح علينا، كحْلُ أجفانهم سُهدُ

والأبيات في مدح أمير قرطبة لما أمر بكسر دنان الخمر ومنع شربها، وفي أثناء مدحه يتحدث عن بني جَهور إذ يقول: إنّهم خالدون فلا داعي لنعي منهلك منهم فهو ليس هالكاً إنّه باقٍ وخالدٌ بأعماله الصالحة، وما نال من آيات المديح والثناء يكفل لهُ حسن الأحدوثة والخلود المعنوي وقد وفق حين استدعى بيت الشاعر **الأعشى** إذ يقول: أيّها اللائمون كفوا عن لومهم وانهضوا بأمجادهم إذا استطعتم. وهذا التّناصّ موائم كل الموائمة لهذا السياق إذ انه يتناسب مع ما يريده الشاعر من الأدلّة، فضلاً عن كون هذا الاستدعاء قد التحم بالنّصّ الأندلسي التحاماً وبهذه التفاعلية النّصّية أرى الخطاب الجديد مقصديته وأدبيته ليُسهم هذا التّناصّ في تحقيق شعرية النّصّ. وقال **إبن زيدون** مادحاً المعتضد بن عباد متكئا على التّناصّ الشعري:[1]

يا خير من ركب الجيا دَ، وسار في ضل اللواء

وأحال يوم الحرب قد ماً، واحبتي يوم الحباء

فقد مدحه بأنه خير من يركب الجياد وهي أقوى أسلحة الحرب، ويحمل اللواء متوجهاً لمقارعة أعدائه، ويجعل سيفه وجواده في ميادين القتال، وهو كذلك

[1] ابن زيدون: الديوان: (ص541).

يتصدر المجالس ويمنح العطاء وفي هذين البيتين تناص في اللفظ والمضمون مع شعر الشاعر الأموي **جرير** إذ يقول مادحاً عبد الملك بن مروان قائلاً:[1]

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

فقد انطلق **إبن زيدون** من معنى الشاعر الأموي الذي مدح الأمويين بصفتي الشجاعة والكرم، وحذا حذوه وعرض الفضائل النفسية التي يأتي في مقدمتها صنفا الشجاعة والندى، هذا التصرف بالمعنى الشعري والاتكاء على بعض الفاظه تحقق هذا الأداء التعبيري والثراء الفني لم يكن ليأتي لولا أن تهيّأ له الشاعر القدير ذو المواهب الفنية والحافظة المكينة التي تستدعي المعاني والنّصّوص في سياقات مخصوصة كما في هذا المورد. ونلتمس أثر الشعر العربيّ المشرقي في قول إبن زيدون في ابيات له بعثها الى المعتضد بن عباد:[2]

يا مَن تزيّنت الريا سةُ حين أُلبس ثوبَها

وله يدٌ بئس الغما مُ من أن يعارضَ صوبَها

جاءتك جامدة المدا مِ فخذ عليها ذوبَها

وتأمل هذه الأبيات يطلعنا على ثقافة إبن زيدون العريضة وألفته لنصوص الشعراء السابقين وحسن تصرفه في توظيف معانيهم وصياغتها ويرى البحث أن

---

[1] جرير: ديوان جرير.

[2] ابن زيدون: ديوان ابن زيدون: (ص 296).

الشاعر، في بيته الأوّل، ناظر إلى قول **أبي العتاهية** في مدحه الخلفية العباسيّ إذ يقول: [1]

أتته الخلافةُ منقادةً إليه تجرد أذيالها

فلم تَكُ تصلح ألّا لَهُ وَلم يَكُ يَصلُح الّالَهَا...

ولعله أيضاً –وهو يصوغ بيته الأخير– قد استدعى قول **أبي نواس** حين يصف الخمرة قائلاً: [2]

الخمرُ تفاحٌ جرى ذائباً كذلك التفاح خمرٌ جمدْ

فأشرب على جامدٍ ذا ذوب ذا ولاَ تَدعْ لذة يومٍ لغدٍ

فجامدة المدام هي التفاح التي سبقه اليها **النواسي** (الخمر تفاح جرى ذائباً) وقوله ((فخذ عليها ذوبها)) يقصد الخمر حين يزول التفاح، وهذا الاستحضار لمعاني الشعراء المشارقة بهذه الإشارية التّناصّية قد وفّق إليه **إبن زيدون** في تعبيره الشعري فيداخل الخطابان العباسي والأندلسي ليكونا هذا التعبير المنتج بفعل التّناصّ الموحي بثرائه الفني وقدرته التعبيرية. ولنتأملُ فائيةً له طويلةً مهنئاً المعتضد بحلول عيد الاضحى سنة 446هـ [3]:

---

[1] ابو العتاهية : ديوان أبي العتاهية ...

[2] ابو نواس : (ديوان ابي نواس) تحقيق عبد المجيد الغزالي : 84.

[3] ابن زيدون : ديوان ابن زيدون : (ص 529).

..... وما ولعي بالراح الاّ توّهمٌ لِظَلَمٍ به كالراحِ لو يتَرشّفُ *

و**إبن زيدون** في هذا البيت يشير إلى أنّ شغفه بالخمر إنّما هو بسبب كونه يذكره بريق الحبيبة الذي تمنى رشفه، وقد قادته ذاكرته وذائقته الشعرية أن يتذكر قول **أبي الطيب المتنبي:** [1]

وما شرقي بالماء الّا تذكراً لماءٍ به أهل الحبيب نزولُ

ف**المتنبي** يقول: إنّني كلما شربت الماء غصصت به، لأنّني أتذكر الماء الذي نزل به أهل الحبيب فلا يسوغ لي الشراب. وواضح ما في هذه الإحالة على **المتنبي** وشعره – فضلاً عما بدا في ثقافة الشاعر العميقة وإطلاع على التراث الشعري، تناصٌ آسر إذ تداخل الخطابان العباسي والأندلسي ليظهر في خطاب منتج ذي صياغة أسرة ودلالة موصية.

وفي قصيدة رائية له يقول:[2]

..... حسن أفانينٌ، لم تستوف أعيننا غاياته بأفانينٍ من النظرِ

---

*الظلم: ماء الأسنان وبريقها .

[1] ابو الطيب المتنبي : شرح ديوان المتنبي: عبد الرحمن البرقوقي (161/4)

[2] ابن زيدون: ديوان ابن زيدون: (ص339).

والمعنى كما شرحه محقق الديوان: ((حُسنك رائع متعدد المشاهد فتحدد المفاتن كلما تعددت نظراتنا إليه كشفت فيه ألواناً جديدة من الجمال لا يستطيع النظر ملاحظتها، وهو في هذا ينظر الى قول إبي نواس))[1] [2]

يزيدُك وجههُ حُسنا إذا ما زدتهُ نَظَرا

فقد أخذ **إبن زيدون** فكرة **أبي نواس** وصبغها بفنية لا تخلو من التهذيب مفصلاً فيها ليأتي تناصه ذا فاعلية لافتة لهذا التصرف بالبنية الشكلية. وفي سينية له بناها على مجزوء الرمل نطالع هذا المقطع لنقَع على تناصٍ له مع الشاعر العباسي **العباس بن الأحنف** يقول **إبن زيدون** [3].

لا يكن عهـدكَ ورداً إنّ عهـدي لـك آس

وأدر ذكـري كأسـاً ما أمتطت كفك كاس

واغتنم صفو الليالـي إنما العيش اختـلاس

وعسى أن يسمح الدهـ رَ فقد طالَ الشمـاس

وفي بيته الأخير –وهو يشيد بوفائه وحرصه على الإخاء والمودة محذراً اصدقائه من عدم الوفاء بالعهود وقد عقد مقارنة بين العقود المتحولة والورد بجامع

---

[1] ابن زيدون: ديوان ابن زيدون (هامش الصفحة 239).

[2] ابو نواس: ديوان ابي نواس: تحقيق الغزالي (ص559).

[3] ابن زيدون: ديوان ابن زيدون: (375).

الزوال والتغير مؤكداً ثبات عهده ومشبهاً إيّاه بالأسّ الذي لا تزول نضارته وخضرته وقد استحضر بيت **العباس بن الأحنف** حيث يقول:[1]

لا تجعلي ودّنا كالوردِ حين مضى ذا طلعةٍ وأديمي الورد كالأسِ

فالصورتان متناصتان متداخلتان انتجا –بفعل التفاعلية التّناصّية– هذا الخطاب الأندلسي المتكيء والمتقاطع مع النّصّ الشعري العباسي لتشكيل هذا الخطاب الجديد. ولنتأمل هذا البيت من قصيدة مدح له:[2]

..... ومحاسن تندى رقائق ذكرها فتكاد توهمك المديح نسيبا

الشاعر في معرض مدح، إذ لممدوحيه محاسن عظيمة يطيب ذكرها على الأفواه وفي الأذان فإذا رتبت هذه المدائح توهم سامعوها أنها آيات مرتلة، ويرى الباحث أن ثقافة الشاعر الموسوعية وذاكرته المدهشة امتدت إلى بيت **ابي تمام الطائي** إذ يقول: [3]

طابَ فيك المديح والتذّ حتى فاق وصف الديار والتشبيبا

وقد أثمر هذا الامتداد ليكون هذا الخطاب الأندلسي المرتكز على بيت **أبي تمام** في المعنى ذا فاعلية تعبيرية حذت مضمون الشاعر واسبت سياق خطابه

---

[1] العباس بن الاحنف (ديوان العباس ابن الاحنف) (ص 12).

[2] ابن زيدون: (ديوان ابن زيدون): ص405 وانظر هامش التحقيق.

[3] ابو تمام: ديوان أبي تمام.

وهو يتوجه إلى ممدوحية بوافر من المبالغات التي يهبون لسماعها وهذا التّناصّ في شعر **إبن زيدون** ينع من اقتدار الشاعر وعمق إطلاعه وموهبته العالية في صوغ المعاني. وقد يلمح التّناصّ أو التعالق من مفردة واحدة فيوحي الى المعنى المشترك بين النّصّين المأخوذ منه والمأخوذ له كقول **إبن زيدون** يهنئ أبا الوليد بن جهور وهي طويلة نجتزئ منها قوله:[1]

صمصامُ باردةٍ، وطود سكينةٍ وجواد غاياتٍ، وجذل حكاكِ

والمعنى أنه يمدح الأمير واصفاً إيّاه بالسيف البتار الحادّ والجبل الأثم والجواد وأنّه كالشجر الذي يستشفى به (جذل حكاك) وهذا المعنى النادر تعلقّ في ذاكرته مما حفظه من التراث الأدبيّ فقد قال أحد الشعراء:

وإنّي لأقوام جزيل محككٌ وأني لاقوام عذيق مرجّب

فالجزيل المحكك غصن الشجرة الذي تحتك به الأبل الجزئي كي تبرأ من الرمض، والعذيق المرجّب الغصن الحامل للثمار الذي يشد ويُسند لئلا يكسره حمله، وهذا المديح استحضره **إبن زيدون** ليسبغ على ممدوحه إبن جهور هذه المعاني البدوية الأثيرة لدى الأمير العربيّ. لذا جاء هذا التعالق النّصّي مواءماً لما أراد الشاعر أن يبعث به إلى ولي نعمته الأمير الأندلسي على الرغم من غرابة التركيب وبدوية المشهد الصحراوي الذي نقله الشاعر إلى البيئة الأندلسية

[1] ابن زيدون: (ديوان ابن زيدون) (ص423).

المتحضرة. ونعود إلى تأثره بـ**المتنبي** لنتأمل قصيدة له في مدح المعتضد ونقع على هذا التّناصّ في بيتـه هذا:[1]

ولم تأله بُقيا عليه تنظّرا لفيئة من أكرمته فتمرّدا

ومعناه إنّك – ايّها الممدوح – لم تّدخر وسعاً في ترقب توبة من يريد التوبة والرجوع إلى الرشد ولكنه كان كلّما بالغت في إكرامه تمرد ونكث العهد. ومتتبع ثقافة **إبن زيدون** وتأثره بشعر أسلافه ولا سيما كبار الشعراء المشارقة لا يعزّ عليه أن يلمح صلة هذا التشكيل الشعري مبنىً ومعنىً ببيت **أبي الطيب المتنبي** إذ يقول: [2]

إذا أنت أكرمت الكريم ملكتهُ وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

وأخر ما تعرضه من نماذج التّناصّ ما يراه الباحث تعالقاً مع شعر **أبي الطيب** أيضاً، فيقول **إبن زيدون** من رائيةٍ له يعاتب الأمير الذي عزله عن مهمته بعد أن كان سفيراً لإبن جهور لدى ادريس الثاني ملك المغرب:[3]

بُنيت فلا تَهدم، وَرشت فلا تبري وَأمرضت حُسادي، وَحاشاك أن تبري

..... الى أن يقول :-

---

[1] ابن زيدون: ديوان ابن زيدون: (ص 519) وينظر هامش التحقيق.

[2] المتنبي: شرح ديوان المتنبي: (9/2).

[3] ابن زيدون: ديوان ابن زيدون: (ص373-374).

ففيمَ أرى ردّ السلام إثارة تسوغ بي إزراءَ من شاء أنْ يزُري

نلمح في هذا البيت تناصاً مع شعر **أبي الطيب المتنبي** إذ قال في مطلع قصيدة له يعاتب سيف الدولة الحمداني[1]

أرى ذلك القرْبَ صار إزورارا وصار طويل السلام إختصارا

تركتنـــي اليــومَ فـي جملــةٍ أموت مـراراً وأحيـا مـراراً

ومن اللافت آن الموقفين النفسيين متداخلان فا**لمتنبي** يعاتب الأمير سيف الدولة و**إبن زيدون** يعاتب إبن جهور الذي عزله عن منصبه، فأجواء القصيدة متداخلة والشاعران يصدران عن موقف واحد، والأندلسي متأثر با**لمتنبي** تأثراً شديداً، فلا غرابة أن يأتي النّصّ الأندلسي متفاعلاً مع نص **أبي الطيب** تفاعلاً تناصياً يومئ إلى فنية هذا التداخل في البناء والمضمون وفاعليته التعبيرية. وغني عن البيان أن شواهد التّناصّ تعزّ على الحصر ولاسيما ما كان منها إشارياً خفياً فضلاً عما صرحّ به الشاعر على شاكلة تضمينه بيتاً كاملاً في قصيدته وقد أعنتنا النماذج المذكور أنفاً عن ذكر عشرات الشواهد في هذا التّناصّ.

نتائج البحث:

في نهاية المطاف نصل إلى النتائج الآتية:

---

[1] المتنبي: ديوان المتنبي: (139/2).

- إنّ التّناصّ مفهوم فسيفسائي ذو فضاء مفتوح ينأي عن مفهوم السرقات الأدبيّة أو التضمين وسواهما لأنّه لا يقتصر على الفكرة وحدها بل يمتدّ إلى الصياغات ويتعامل معها بقصد إيجاد رؤية مختلفة.

- ليس كل تناص إيجابيا قادرا على خدمة مضمون الأديب بل ثمة تناص رتيب لا يوحي بصدق عاطفة الشاعر بل يعمل على هلهلة النّصّ.

- أثبت البحث أنّ التّناصّ في شعر إبن زيدون عدّ عنصرا من عناصر إبداعه الفني، لأنّ عمق ارتباط الشاعر بالنّصّوص السابقة وتكوينه الثقافي المتشعب وسعة إطلاعه، فضلاً عن مواهبه الفنية وخياله الخلّاق، كل ذلك أفضى لأن يكون تناصّ **إبن زيدون** ذا ثراء جمالي وقدرة على التوصيل.

- برز عمق مرجعية إبن زيدون الثقافية في استدعاء النّصّوص السابقة استدعاءا عفويا قادرا على بيان المراد من التّناصّ ووضوح الهدف من التّناصّ.

- أثبت البحث أنّ الفاعلية التعبيرية المتأتية من التفاعلات النّصّية بين نصوص إبن زيدون ونصوص سابقة لها، طبعت شعر **إبن زيدون** بطابع التأثير في المتلقي لحلاوة جرس أشعاره وسهولة الطبع وعمق التجربة حتى عُدّ بحتري الأندلس ومن أكبر شعرائها.

- لم يقتصر تناصّ إبن زيدون على شعراء المشرق في العهد العباسي بل كما لاحظنا تطرّق إلى العهد الأموي والجاهلي حيث تشرّب المعاني الصحراوي

وأدمجها بشعره الأدندلسي الرنان والرتيب مما جعل في شعره نكهة صحراوية في تناصّه هذا.

- **إبن زيدون** أخذ معاني أبي تمام والبحتري والمتنبي ويغلب الظن أنّ إظهار المعرفة الواسعة كان فنّاً آنذاك ولا ننسى أنّه ذوالوزارتين وأنّه كثير الحسّاد فأراد أن يبرز معرفته الواسعة بشعر العرب ومعارفهم.

المصادر:

1-إبن زيدون: ديوان إبن زيدون ورسائله تحقيق: علي عبد العظيم، نشر: دار نهضة مصر للطباعة والتوزيع، القاهرة، (د.ط)، (1387هـ=1967م).

2-امرؤ القيس: ديوان امرؤ القيس: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط5 دار المعارف بمصر،(د.ت).

3-النابغة الذبياني: يوان النابغة الذبياني تحقيق : محمد الطاهر إبن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر 1976م

4-الأعشى: ديوان الأعشى، كتاب: ديوان الأعشى الكبير (ط مكتبة الآداب) المحقق: محمد حسين الناشر: مكتبة الآداب بالجماميز، (د.ت).

5-أبو العتاهية: يوان أبي العتاهية، المؤلف: أبو العتاهية; الناشر: دار بيروت: 1406 – 1986.

6-أبو نواس: ديوان ابي نواس: تحقيق عبد المجيد الغزالي، مصر، القاهرة، دار المعارف، (د.ت)

7-أبو الطيب المتنبي: شرح ديوان المتنبي: عبد الرحمن البرقوقي، بيروت، دار العلم، (د.ت)

8-العباس إبن الاحنف: ديوان العباس بن الأحنف الشاعر: أبو الفضل العباس بن الأحنف (ت 192 هـ) تحقيق: عاتكة الخزرجي الناشر: مطبعة دار الكتب المصرية – القاهرة .

9-أبو تمام، حبيب بن اوس الطائي، ديوان أبي تمام، تحقيق محمد عبده عزام، القاهرة، دار مدبولي.

المراجع:

10-أنجينو(مارك): في أصول الخطاب النقدي الجديد، تعريب احمد المديني، دار الشؤون الثقافية، بغداد،1987.

11-ايفلتين (تيري): مقدمة في النظرية الأدبيّة، تعريب الأستاذ إبراهيم جاسم العلي، دارالشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1992.

12-بارت(رولان): نظرية النّصّ، ترجمة محمد خيري البقاعي، مركز الإنماء القومي، بيروت،1989م.

13-تودروف (تزفتيان): المبدأ الحواري، ترجمة فخري صالح، الطبعة الأوّلى، دار الشؤون الثقافية، بغداد،1992.

14-كرستيفا(جوليا): علم النّصّ،نقله إلى العربيّة فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، المغرب،.1997

15-يقطين (سعيد): انفتاح النّصّ الروائي، الطبعة الأوّلى، المركز الثقافي العربيّ، الدار البيضاء،1985.

16-الغذّامي (د.عبدالله): الخطيئة والتكفير، ط6، المركز الثقافي العربيّ، الدار البيضاء،2006.